وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ، قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ، وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا *

سورة الكهف

مكية إلا آية ٢٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعني المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة : كزيد بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون للأذقان) أي لناحية الأذقان كقولهم خر لليدين وللفم ، والأذقان جمع ذقن ، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون للأذقان ، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن ، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وهاهو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد ، وأنه مخير في الدعاء بأيّ الاسمين شاء ، والدعاء في الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدي زيدا لا بمعنى النداء (أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أيّا اسم شرط منصوب بتدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، وما زائدة للتأكيد والضمير في به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أيّ هذين الاسمين تدعو فحسن ، لأن الله له الأسماء الحسنى فوضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الحال ، وهو في المعنى تعليل للجواب ، لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) المخافتة هي الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن في الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له وليّ من الذل) أي ليس له ناصر يمنعه من الذل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غنيّ عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده ، وحكى الطبري أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له وليّ من الذل رد على الصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذل الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (وكبره) معطوف على قل ، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشريفا له

شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ
زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ

وإعلاما باختصاصه وقربه ، والكتاب القرآن (ولم يجعل له عوجا) العوج بكسر العين فى المعانى التى لاتحسن وبالفتح فى الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه عدم الاستقامة ، وقيل فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل ، وقيل لم يجعله مخلوقا ، واللفظ أعم من ذلك (قيما) أى مستقيما ، وقيل قيما على الخلق بأمر الله تعالى ، وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها ، وانتصابه على الحال من الكتاب ، والعامل فيه أنزل ، ومنع الزمخشرى ذلك للفصل بين الحال وذى الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره جعله قيما (لينذر بأسا شديدا) متعلق بأنزل أو بقيما ، والفاعل به ضمير الكتاب أو النبى صلى الله عليه وسلم ، والبأس العذاب ، وحذف المفعول الثانى وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف (من لدنه) أى من عنده ، والضمير عائد على الله تعالى (أجرا حسنا) يعنى الجنة (ماكثين فيه) أى دائمين ، وانتصابه على الحال من الضمير فى لهم (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) هم النصارى لقولهم فى عيسى واليهود لقولهم فى عزير وبعض العرب لقولهم فى الملائكة (وما لهم به من علم) الضمير عائد على قولهم ، أو على الولد (كبرت كلمة) انتصب على التمييز على الحال ويعنى بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا : وعلى هذا يعود الضمير فى كبرت (فلعلك باخع نفسك) أى قاتلها بالحزن والأسف ، والمعنى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن عدم إيمانهم (على آثارهم) استعارة فصيحة : كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم ، وانتصب أسفا على أنه مفعول من أجله ، والعامل فيه باخع نفسك (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) يعنى مايصلح للتزين كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أى لنختبرهم أيهم أزهد فى زينة الدنيا (وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا) المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها ، والصعيد هو التراب ، والجرز : الأرض التى لانبات فيها : أى سيفنى ماعلى الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التى لانبات فيها ، بعد أن كانت خضراء بهجة (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أم هنا استفهام ، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب ، والكهف الغار الواسع ، والرقيم : اسم كلبهم ، وقيل هو لوح رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف ، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم ، وقيل هو القرية التى كانت بإزاء الكهف ، وقيل الجبل الذى فيه الكهف ، وقال ابن عباس لاأدرى ما الرقيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف) نذكر من قصتهم على وجه الاختصار مالا غنى عنه ، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة فى كثير مما نقلوا ، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين ، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن ، ففروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه ، وأمر الملك باتباعهم ، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف

أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝ وَتَرَى

عليه فى جنده وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا ، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا ، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما بدراهم كانت لهم فعجب لها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك فى قديم الزمان من أين جاءتك ، وشاع الكلام بذلك فى الناس ، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابى بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال هؤلاء الفتية الذين ذهبوا فى الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى ، وأما موضع كهفهم ، فقيل إنه بمقربة من فلسطين وقال : قوم إنه الكهف الذى بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقى بعض جدرانه ، وروى أن الملك الذى كانوا فى زمانه اسمه دقيوس ، وفى تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم ، ومما يبعد ذلك ماروى أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأندلس قط ، وأيضا فإن الموتى التى فى غار لوشة يراهم الناس ، ولم يدرك أحد منهم الرعب ، الذى ذكر الله فى أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم فى الكهف) عبارة عن إلقاء النوم عليهم ، وقال الزمخشرى : المعنى ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول (سنين عددا) أى كثيرة (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من نومهم (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم علما يظهر فى الوجود لأن الله قد كان علم ذلك ، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا فى مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف فى مدتهم وقيل إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض يوم ، وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم ، وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به ، وقيل أحصى اسم للتفضيل ، وأمدا تمييز ، وهذا ضعيف ، لأن أفعل من التى للتفضيل لا يكون من فعل رباعى إلا فى الشاذ (وربطنا على قلوبهم) أى قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر (إذ قاموا) يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدى الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به (لقد قلنا إذا شططا) أى لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولا شططا ، والشطط الجور والتعدى (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) تحضيض بمعنى التعجيز أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم (وما يعبدون) عطف على المفعول فى اعتزلتموهم : أى تركتموهم وتركتم ما يعبدون (إلا الله) أى ما يعبدون من دون الله ، وإلا هنا بمعنى غير ، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره ، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفى مصحف ابن مسعود « وما يعبدون

الشَّمْسَ اذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَاذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِٓ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم

من دون الله (فأووا إلى الكهف) هذا الفعل هو العامل فى إذاعترلتموهم ، والمعنى أن بعضهم قال لبعض إذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى ونتكل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا (مرفقا) بفتح الميم وكسرها مايرتفق به وينتفع (وترى الشمس إذاطلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذاغربت تقرضهم ذات الشمال) قيل هنا كلام محذوف تقديره فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه ، وضرب الله على آذانهم ، ومعنى تزاور تميل وتزوغ ، ومعنى تقرضهم تقطعهم : أى تبعد عنهم ، وهو بمعنى القطع ، وذات اليمين والشمال أى جهته ، ومعنى الآية أن الشمس لاتصيبهم عند طلوعها ولاعندغروبها لئلا يحترقوا بحرها ، فقيل إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة ، وقيل كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش ، فلذلك لاتصيبهم الشمس ، والأول أظهر لقوله « ذلك من آيات الله » (وهم فى فجوة منه) أى فى موضع واسع ، وذلك مفتح لإصابة الشمس ، ومع ذلك حجبها الله عنهم (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة ، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) أيقاظا جمع يقظ وهو المنتبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظا وفى قوله أيقاظا ورقود مطابقة ، وهى من أدوات البيان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أى نقلبهم من جانب إلى جانب ، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته ، وهم لاينتبهون من نومهم ، وروى أنهم كانوا يقلبون مرتين فى السنة ، وقيل من سبع سنين إلى مثلها (وكلبهم باسط ذراعيه) قيل إنه كان كلبا لأحدهم يصيد به ، وقيل كان كلبا لراع فروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى لأنه حكاية حال (بالوصيد) أى بباب الكهف ، وقيل عتبته وقيل البناء (ولملئت منهم رعبا) ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة ، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم ، وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف ، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لاتستطيع ذلك ، قد قال الله لمن هو خير منك : لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ، فبعث ناسا إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقتهم (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) أى كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا ، واللام فى ليتساءلوا لام الصيرورة (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة ، فأنكر على من قال يوما أو بعض يوم ، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله (فابعثوا أحدكم بورقكم) الورق الفضة ، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف ، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه ، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة . فإن قيل : كيف

بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ

اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم ؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم فابعثوا أحدكم (إلى المدينة) قيل إنها طرسوس (أزكى طعاما) قيل أكثر ، وقيل أحل ، وقيل إنه أراد شراء زبيب ، وقيل تمر (وليتلطف) فى اختفائه وتحيله (إن يظهروا عليكم يرجموكم) أى إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة ، وقيل المعنى يرجموكم بالقول ، والأول أظهر (وكذلك أعثرنا عليهم) أى كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف : أى أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) العامل فى إذ أعثرنا أو مضمر تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون فى أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ، وقيل تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد ، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم أو ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبركا ، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به (قال الذين غلبوا على أمرهم) قيل يعنى الولاة ، وقيل يعنى المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار فبنوا على باب الكهف مسجداً لعبادة الله (سيقولون) الضمير لمن كان فى زمان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم فى أصحاب الكهف (رجما بالغيب) أى ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمى (سبعة وثامنهم كلبهم) قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفى قوله : سبع ليال وثمانية أيام ، وفى قوله فى أهل الجنة «وفتحت أبوابها» وفى قوله فى براءة «والناهون عن المنكر» ، وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله : جاء زيد وفى يده سيف قال الزمخشرى وفائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبروا بحق ، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم ، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم ، وقال ابن عطية دخلت الواو فى آخر إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام ، وكذلك دخلت السين فى قوله سيقولون الأول ، ولم تدخل فى الثانى والثالث استغناء بدخولها فى الأول (ما يعلمهم إلا قليل) أى لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس ، وهم من أهل الكتاب ، قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، لأنه قال فى الثلاثة والخمسة رجما بالغيب ، ولم يقل ذلك فى سبعة وثامنهم كلبهم (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) لا تمار : من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج ، والمعنى لا تمار أهل الكتاب فى عدة أصحاب الكهف إلا مراء ظاهرا أى غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف فى الرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم

إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ

أحدا) أى لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ، لأن الله قد أوحى إليك فى شأنهم ما يغنيك عن السؤال (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لهم اسألوه عن فتية ذهبوا فى الزمان الأول وهم أصحاب الكهف ، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين ، وعن الروح ، فإن أجابكم فى الاثنين وسكت عن الروح فهو نبى فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحى خمسة عشر يوما فأوجف به كفار قريش وتكلموا فى ذلك ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليما ، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله فى كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل ، وقوله غدا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذى بعد يومه خاصة ، وفى الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله ، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة ، وقيل إن قوله إلا أن يشاء الله بقوله لا تقولن . والمعنى لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه ، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل ، ومعناها إباحة القول بالإذن فيه ، حكى ذلك الزمخشرى ، وحكاه ابن عطية ، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستثناء أى استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا ، وذلك على مذهبه ، فإن الاستثناء فى اليمين ينفع بعد سنة ، وأما مذهب مالك والشافعى فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلا باليمين ، وقيل معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت ، وقيل اذكر إذا نسيت شيئا ليذكرك ما نسيت ، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره أى ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره فى كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) هذا كلام أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله ، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أى عسى الله أن يؤتينى من الآيات والحجج ما هو أعظم فى الدلالة على نبوتى من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضى أن المعنى : عسى أن يوفقنى الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله ، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسى أى إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهدينى الله إلى شىء آخر هو أرشد من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) فى هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما فى قراءة ابن مسعود : وقالوا لبثوا فى كهفهم . وهو معطوف على سيقولون ثلاثة فقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) رد عليهم فى هذا العدد المحكى عنهم ، والقول الثانى أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمدة لبثهم ، فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس ، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجا على صحة ذلك

وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۝ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ
كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ
مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ

الإخبار ، وانتصب سنين على البدل من ثلاثمائة أو عطف بيان ، أو على التمييز وذلك على قراءة التنوين فى ثلاثمائة وقرئ بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع المفرد (أبصر به وأسمع) أى ما أبصره وما أسمعه ، لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات (مالهم) الضمير لجميع الخلق أو للمعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم (ولا يشرك فى حكمه أحدا) هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء والجزم على النهى (لا مبدل لكلماته) يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن ، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره ، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر (ملتحدا) أى ملجأ تميل إليه (واصبر نفسك) أى احبسها صابرا (مع الذين يدعون ربهم) هم فقراء المسلمين : كبلال وخباب وصهيب وكان الكفار قد قالوا له اطرد هؤلاء نجالسك نحن ، فنزلت الآية (بالغداة والعشى) قيل المراد الصلوات الخمس ، وقيل الدعاء على الإطلاق (ولا تعد عيناك عنهم) أى لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا . وقال الزمخشرى يقال عداه إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقره (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة فى موضع الحال فهى متصلة بما قبلها ، وهى فى معنى تعليل الفعل المنهى عنه فى قوله ولا تعد عيناك عنهم : أى لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا (أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا أو وجدناه غافلا ، وقيل يعنى أنه عيينة بن حصين الفزارى ، والأظهر أنها مطلقة من غير تقييد (فرطا) من التفريط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف (وقل الحق من ربكم) أى هذا هو الحق (فمن شاء فليؤمن) لفظه أمر وتخيير : ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه : إما الحق الذى ينجيه ، أو الباطل الذى يهلكه ، ففى ضمن ذلك تهديد (سرادقها) السرادق فى اللغة ما أحاط بالشىء كالسور والجدار ، وأما سرادق جهنم فقيل حائط من نار ، وقيل دخان (كالمهل) وهو دردى الزيت إذا انتهى حره روى ذلك عن النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقيل ما أذيب من الرصاص وشبهه (مرتفقا) أى شىء يرتفق به ، فهو من الرفق ، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء (أولئك لهم) خبر إن ، وإنا لا نضيع : اعتراض ، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنا لا نضيع الخبر ، وأولئك استئناف ، ويقوم العموم فى قوله من أحسن مقام الضمير الرابط ، أو يقدر من أحسن عملا منه ، وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إنها نزلت فى أبى بكر وعمر وعثمان

فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ۝ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ۝ كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ۝ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره ۝ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ۝ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ۝ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ۝ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوىك رجلا ۝ لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ۝ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة إلا بالله إن

وعلي رضى الله عنهم (أساور) جمع أسوار وسوار، وهو مايجعل فى اليد، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار (من سندس وإستبرق) السندس: رقيق الديباج، والإستبرق الغليظ منه (الأرائك) الأسرة والفرش (واضرب لهم) الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين وللفقرا الذين أرادوا طردهم: أى مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان من بنى إسرائيل: أحدهما مؤمن، والآخره كافر: ورثا مالا عن أبيهما، فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله فى طاعة الله حتى افتقر فعير الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر، وروى أن اسم المؤمن تمليخا، واسم الكافر قطروس، وقيل كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله (أكلها) بضم الهمزة اسم لما يؤكل، ويجوز ضم الكاف وإسكانها (ولم تظلم) أى لم تنقص (وكان له ثمر) بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة، وقيل هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا، وأما بفتح الثاء والميم، فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر (وهو يحاوره) أى يراجعه فى الكلام (وأعز نفرا) يعنى الأنصار والخدم (ودخل جنته) أفرد الجنة هنا، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة (وهو ظالم لنفسه) إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه (وقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات، فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافراً بالآخرة أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطاً فى الاغترار وقلة التحصيل (ولئن رددت إلى ربى) إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخى: لأجدن فى الآخرة خيراً من جنتى فى الدنيا، وقرئ خيراً منهما بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد للجنة (منقلباً) أى مرجعاً (أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافراً لشكه فى البعث (سواك رجلا) كما تقول سواك إنسانا، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة فى أن لم يكن أنثى (لكنا هو الله ربى) قرأ الجمهور بإثبات الألف فى الوقف وحذفها فى الوصل، والأصل على هذا لكن أنا، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها، وحذفت ثم أدغمت النون فى النون، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف فى الوصل والوقف، ويتوجه ذلك بان تكون لحقتها نون الجماعة التى فى خرجنا وضربنا، ثم أدغمت النون فى النون (ولولا

أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا * وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

إذ دخلت جنتك الآية : وصية من المؤمن للكافر ، ولولا تحضيض (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) يحتمل أن يريد فى الدنيا أو الآخرة (حسبانا) أى أمرا مهلكا كالحر والبرد ونحو ذلك (صعيدا زلقا) الصعيد وجه الأرض والزلق الذى لا يثبت فيه قدم يعنى أنه تذهب أشجاره ونباته (وغورا) أى غائرا ذاهبا وهو مصدر وصف به (وأحيط بثمره) عبارة عن هلاكها (يقلب كفيه) عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه (وهى خاوية على عروشها) يريد أن السقف وقعت وهى العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ، ثم سقطت الكروم عليها (ويقول ياليتنى لم أشرك) قال ذلك على وجه التمنى لما هلك بستانه ، أو على وجه التوبة من الشرك (هنالك) ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا ، أو يكون فى موضع خبر (الولاية لله) بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ، وبفتحها من الموالاة والمودة (وخير عقبا) أى عاقبة (فاختلط) الباء سببية ، والمعنى : صار به النبات مختلطا : أى ملتفا بعضه ببعض من شدة تكاثفه (فأصبح هشيما) أى متفتتا ، وأصبح هنا بمعنى صار (تذروه الرياح) أى تفرقه ومعنى المثل تشبيه الدنيا فى سرعة فنائها بالزرع فى فنائه بعد خضرته (المال والبنون) الآية : هذا من الجمع بين شيئين فى خبر واحد ، وذلك من أدوات البيان ، وقرئ زينتا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين ، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل الصلوات الخمس ، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق (نسير الجبال) أى نحملها ، ومنه قوله : وهى تمر مر السحاب ، وبعد ذلك تصير هباء (وترى الأرض بارزة) أى ظاهرة لزوال الجبال عنها (وحشرناهم) قال الزمخشرى إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضى بعد قوله نسير للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال (فلم نغادر) أى لم نترك (صفا) أى صفوفا فهو إفراد تنزل منزلة الجمع ، وقد جاء فى الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا (لقد جئتمونا) يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ (كما خلقناكم) أى حفاة عراة

مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

غرلا (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال ، فالكتاب اسم جنس (كان من الجن) كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود ، وظاهر هذا الموضع يقتضى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع ، فإن الجن صنف غير الملائكة ، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار : أى خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن ، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار (ففسق عن أمر ربه) : أى خرج عن ما أمر به ، والفسق فى اللغة الخروج (أفتتخذونه وذريته أولياء) : هذا توبيخ ووعظ ، وذرية إبليس هم الشياطين ، واتخاذهم أولياء بطاعتهم فى عصيان الله والكفر به (ما أشهدتهم) الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفار أو لجميع الخلق ، فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى معينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين (ويوم يقول نادوا شركائى) يقول هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم ، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم ، وقد بين هذا بقوله الذين زعمتم (موبقا) أى مهلكا ، وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه واد من أودية جهنم والضمير فى بينهم للمشركين وشركائهم (فظنوا أنهم مواقعوها) الظن هنا بمعنى اليقين (مصرفا) أى معدلا ينصرفون اليه (جدلا) أى خاصمة ومدافعة بالقول ويقتضى سياق الكلام ذم الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النضر ابن الحارث ، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس (وما منع الناس أن يؤمنوا) الآية : معناها أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة ، وهى الإهلاك فى الدنيا أو يأتيهم العذاب يعنى عذاب الآخرة ومعنى قبلا معاينة وقرئ بضمتين وهو جمع قبيل : أى أنواعا من العذاب (ليدحضوا) أى ليبطلوا (وما أنذروا هزوا) يعنى العذاب وما مصدرية ، والضمير محذوف تقديره أنذروه أو مصدرية

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا * وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا * وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا *
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا
مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) هذه عقوبة على الإعراض المحكى عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة فى قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان (فلن يهتدوا إذا أبدا) يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن (لو يؤاخذهم) الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ الله الناس والجملة خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والأول أظهر (بل لهم موعد) قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر (موئلا) أى ملجأ يقال وئل الرجل إذا لجأ (وتلك القرى) يعنى عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكناهم وفى ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدى، وقرئ بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (وإذ قال موسى لفتاه) هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبى الله وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل رده ابن عباس وغيره ويدل الحديث على بطلانه وفتاه هو يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وهو من ذرية يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يوما فى بنى إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن بل عبدنا الخضر أعلم منك فقال يارب دلنى على السبيل إلى لقائه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا فى مكتل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ففعل موسى ذلك حتى لقيه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال موسى هذا الكلام وهو سائر أى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا لدلالة المعنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضى الإقامة فى الموضع وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة ومجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم فى المشرق (أو أمضى حقبا) أى زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هى جمع حقبة وهى السنة (فلما بلغ مجمع بينهما) الضمير فى بلغا لموسى وفتاه والضمير فى بينهما للبحرين (نسيا حوتهما) نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم وقيل نسى الفتى أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه

أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّىٰ

بشيء (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاعل اتخذ الحوت ، والمعنى أنه سار فى البحر فقيل إن الحوت كان ميتا فملوحاثم صار حيا بإذن الله ووقع فى الماء فسار فيه وقال ابن عباس إنما حيي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة مامست قط شيأ إلاحيي وفى الحديث أن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو المسلك فى جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل اتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة ويرد هذا ماورد فى الحديث (فلما جاوزا) أى جاوزا الموضع الذى وصف له وهو الصخرة التى نام عندها فسار الحوت فى البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا (نصبا) أى تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) قال الزمخشرى أرأيت هنا بمعنى أخبرنى ثم قال ، فإن قلت ماوجه التئام هذا الكلام فإن كل واحدمن أرأيت وإذأوينا وإنى نسيت الحوت لامتعلق له ؟ فالجواب أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع مارأى منه وما اعتراه من نسيانه فدهش فلق يسأل موسى عن سبب ذلك فكأنه قال أرأيت مادهانى إذأوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت فحذف بعض الكلام (نسيت الحوت) أى نسيت أن أذكرلك مارأيت من ذهابه فى البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه وهو بدل اشتمال (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أى اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبا للناس أواتخذ موسى سبيل الحوت عجبا أى تعجب هومنه وإعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا وقيل إن الكلام تم عند قوله فى البحر ثم ابتدأ التعجب فقال عجبا وذلك بعيد (قال ذلك ما كنا نبغ) أى فقد الحوت هوما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل (فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا فى طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة) يعنى النبوة على قول من قال إن الخضر نبىّ وقيل إنه ليس بنبىّ ولكنه ولىّ وتظهر نبوته من هذه القصة . أنه فعل أشياء لايعملها إلا بوحى واختلف أيضا هل مات أو هو حىّ إلى الآن ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم (وعلمناه من لدنا علما) فى الحديث أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وأنى بأرضك السلام قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال أولم يكن لك فى بنى إسرائيل مايشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكنى أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال إنى على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه لاأعلمه أنا (قاله موسى هل أتبعك) الآية : مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغى أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه (رشدا) قرئ بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد ، وانتصب على أنه مفعول ثان بتعلمنى أو حال من الضمير فى أتبعك (فانطلقا) الضمير

إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ

لموسى والخضر وفى الحديث أنهما انطلقا ماشيين على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أى بغير أجرة (خرقها) روى أن الخضر أزال لوحين من ألواحها (شيئا إمرا) أى عظيما وقيل منكراً (فانطلقا) يعنى بعد نزولهما من السفينة فرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضىء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل ذبحه، وقيل أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح وروى أن اسم الغلام جيسورا بالجيم، وقيل بالحاء المهملة قال الزمخشرى إن قلت لم قال خرقها بغير فاء، وقال فقتله بالفاء؛ والجواب أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسا، فإن قيل لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (نفسا زكية) قيل إنه كان لم يبلغ فمعنى زكية ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا (بغير نفس) يقتضى أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا (شيئا نكرا) أى منكرا وهو أبلغ من قوله إمرا ويجوز ضم الكاف وإسكانها (قال ألم أقل لك) بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس فى قوله أولا ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا (بعدها) الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليها (قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت إلىّ فأنت معذور عندى وفى الحديث كانت الأولى من موسى نسيانا (أتيا أهل قرية) قيل هى أنطاكية، وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هى بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة (استطعما أهلها) أى طلبا منهم طعاما (جدارا يريد أن ينقضّ) أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير فى كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقضّ ووزن ينقضّ ينفعلّ وقيل يفعل بالتشديد كيحمرّ (فأقامه) قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده وأقامه فقام (لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى قال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجرا أى طعاما نأكله (قال هذا فراق بينى وبينك) إنما قال له هذا لأجل شرطه فى قوله «إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى» على أن قوله «لو شئت لاتخذت عليه أجرا» ليس بسؤال ولكن فى ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشرى الأصل هذا فراق

فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا . وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة وأقرب رحما * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا * ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا * إنا مكنا له فى الأرض وءاتيناه من كل شئ سببا * فأتبع

بينى وبينك بتنوين فراق ونصب بينى على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث ، الذى أوجب الفراق ، (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل إنهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم ، لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم فى لجج البحر ، وقيل كانوا إخوة عشرة ، منهم خمسة عاملون بالسفينة ، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم وقرئ مساكين بتشديد السين ، أى يمسكون السفينة (وكان وراءهم) قيل معناه قدامهم ، وقرأ ابن عباس أمامهم ، وقال ابن عطية إن وراءهم على بابه ولكن روعى به الزمان فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضى (كل سفينة غصبا) عموم معناه الخصوص فى الجياد والصحاح من السفن ، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة ، وقيل : إن اسم هذا الملك هدد بن بدد وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ، وفى الكلام تقديم وتأخير ، لأن قوله (فأردت أن أعيبها) مؤخر فى المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب فى أنه عابها وإنما قدم للعناية به (وأما الغلام) روى أنه كان كافراً ، وروى أنه كان يفسد فى الأرض ، (فخشينا أن يرهقهما) المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا ، وقال ابن عطية إنه من نحو ما وقع فى القرآن من عسى ولعل ، وإنما هو فى حق المخاطبين ومعنى يرهقهما طغيانا وكفرا ، يكلفهما ذلك والمعنى أن يحملهما حبه على اتباعها أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما (خيرا منه) أى غلاما آخر خيرا من الغلام المذكور المقتول (زكاة) أى طهارة وفضيلة فى دينه (وأقرب رحما) أى رحمة وشفقة ، فقيل المعنى أن يرحمهما ، وقيل : يرحمانه (لغلامين يتيمين) اليتيم من فقد أبويه قبل البلوغ ، وروى أن اسم الغلامين أصرم وصريم ، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى صحة نقل (كنز لهما) قيل مال عظيم ، وقيل كان علما فى صحف مدفونة ، والأول أظهر (وكان أبوهما صالحا) قيل إنه الأب السابع ، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (فأراد ربك) أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها فى أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله ، وأسند الخضر إلى نفسه فى قوله فأردت أن أعيبها لأنها لفظة عيب ، فتأدب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام « وإذا مرضت فهو يشفين » فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا ، واختلف فى قوله فأردنا أن يبدلها هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله ، (وما فعلته عن أمرى) هذا دليل على نبوة الخضر ، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحى (ويسئلونك عن ذى القرنين) السائلون اليهود ، أو قريش بإشارة اليهود ، وذو القرنين هو الإسكندر الملك ، وهو يونانى وقيل رومى وكان رجلا صالحا ، وقيل كان نبيا ، وقيل كان ملكا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف

سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ

لم سمى ذو القرنين فقيل كان له ضفيرتان من شعرهما قرناه ، فسمى بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرنى الدنيا (إنا مكنا له فى الأرض) التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم (آتيناه من كل شىء سببا) أى علما وفهما ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك (فأتبع سببا) أى طريقا يوصله (وجدها تغرب فى عين حمئة) قرئ بالهمز على وزن فعلة أى ذات حمأة وقرئ بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف فى ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معاوية حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأنتما أعلما بها منى ، ولكنى أجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارة ، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين ، ويجتمع معنى القراءتين (قلنا ياذا القرنين) استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبى لأن هذا القول وحى ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوته (إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) كانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنا بالنظر إلى القتل (قال أما من ظلم فسوف نعذبه) اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمن تمادى على الكفر قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا نكرا عذاب الآخرة (فله جزاء الحسنى) المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) وعدهم بأن ييسر عليهم (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراءهم ومعنى لم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس فى أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أى لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المبانى والثياب ، وقيل المعنى وجد عندها قوما كذلك أى مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله (بين السدين) أى الجبلين وهما جبلان فى طرف الأرض وقرئ بالفتح والضم وهما بمعنى واحد ، وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح (وجد من دونهما قوما) قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول

مَامَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا ۝ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

إلا بالإشارة أو نحوها (يأجوج ومأجوج) قبيلتان من بنى آدم فى خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر (مفسدون فى الأرض) لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل كانوا يأكلون بنى آدم (فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) هذا استفهام فى ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية ويقال فيه خراج وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالا ليقيم بها السد (قال ما مكنى فيه ربى خير) أى ما بسط الله لى من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لى به ولكن أعينونى بقوة الأبدان وعمل الأيدى (ردما) أى حاجزا حصينا والردم أعظم من السد (ساوى بين الصدفين) أى بين الجبلين (قال انفخوا) يريد نفخ الكير أى أوقدوا النار على الحديد (قطرا) أى نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب (فما اسطاعوا أن يظهروه) أصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التاء تخفيفا والضمير فى يظهروه للسد، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته (قال هذا رحمة من ربى) القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم (فإذا جاء وعد ربى) يعنى القيامة جعله دكا أى مبسوطا مسوى بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) الضمير فى تركنا لله عز وجل، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير فى قوله بعضهم على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير فى قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج، والأول أرجح لقوله بعد ذلك ونفخ فى الصور فيتصل الكلام ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم (ونفخ فى الصور) الصور هو القرن الذى ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء فى الحديث ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها (كانت أعينهم فى غطاء) عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم (أعتدنا) أى يسرنا (نزلا) ما ييسر للضيف والقادم عند نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل فى قوله «كانت لهم جنات الفردوس نزلا» ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) الآية فى كفار العرب كقوله كفروا بآيات ربهم

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ۝

ولقائه وقيل فى الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهى لا تقبل منهم وفى قوله يحسبون أنهم يحسنون تجنيس وهو الذى يسمى تجنيس التصحيف (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى ليس لهم حسنة توزن لأن أعمالهم قد حبطت (جنات الفردوس) هى أعلا الجنة جسما ورد فى الحديث ولفظ الفردوس أعجمى معرب (حولا) أى تحولا وانتقالا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هى المعانى القائمة بالنفس وهى المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله وكذلك لو جىء ببحر آخر مثله وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه (بمثله مددا) أى زيادة والمدد هو ما يمد به الشىء أى يكثر (فمن كان يرجو لقاء ربه) إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم فى المعنيين والله أعلم

﴿ تمّ الجزء الثانى، ويليه الجزء الثالث ﴾

﴿ وأوله سـورة مريم ﴾